منـهج النـبـي ﷺ
في معالجة القدر وقضــاياه المعاصـــــرة
"الانـتحـار أنـموذجًا"

د. أمـــين عبيـد فهمـي مهـدي (*)

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الطرق البيِّنة الواضحة التي قررها وأصَّلها النبي-ﷺ- في ترسيخ عقيدة القدر وتوظيفها في علاج الانتحار.

خلصت الدراسة إلى بيان أسباب الانتحار وعلاجها في ضوء منهج النبي –ﷺ- في تقوية الإيمان بالقدر من خلال الآتي: أولاً: الانتحار بسبب الاكتئاب وعلاجه في ضوء الإيمان بالقدر. وعالجه النبي-ﷺ –علاجًا وقائيًا قبل وقوعه من خلال: الإقرار بأزلية القدر ووجوب الإيمان به، واللجوء إلى الله قبل وقوع القدر وبعد وقوعه، ثم بيان أن المصائب تقع بقدر الله وهي تكفر الذنوب. ثانيًا: الانتحار بسبب فقدان الأحبة وعلاجه في ضوء الإيمان بالقدر. وجاءت المعالجة النبوية من خلال: ذكر أعلى المصالح وأولاها بالجلب، وأعلى المفاسد وأولاها بالدفع ، والصبر على المقدر، وتحقيق الرضا. ثالثًا: الانتحار بسبب عدم القدرة على تلبية متطلبات الحياة وعلاجه في ضوء الإيمان بالقدر. ولقد عالجه النبي –ﷺ-علاجًا وقائيًا قبل وقوعه وبعد وقوعه من خلال: التوكل على الله والأخذ بالأسباب، والاستعاذة من الفقر، والحث على العمل. رابعًا: الانتحار والاحتجاج بالقدر، فقد أكدت السنة النبوية المطهرة على ألا يكون العبد سلبيًا في التعامل مع القدر، وألا يتخذ القدر شماعةً ليعلق عليها أفعاله الخاطئة، لذا جاء النهي عن الاحتجاج بالقدر على الانتحار، والتأكيد على دفع القدر بالقدر.

الكلمات المفتاحية: المنهج، النبي، القدر، المعالجة، الانتحار.

(*) قسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

Summary

This study aims to explain the clear and clear methods decided and established by the Prophet - may God bless him and grant him peace - in establishing the doctrine of destiny and employing it in treating suicide.

The study concluded by explaining the causes of suicide and their treatment in light of the methodology of the Prophet - may God bless him and grant him peace - in strengthening belief in destiny through the following: First: Suicide due to depression and its treatment in light of belief in destiny:, and the Prophet - may God bless him and grant him peace - treated it as a preventive measure before it occurred. Through: acknowledging the eternity of fate and the necessity of believing in it, and resorting to God before and after fate occurs, then explaining that misfortunes happen by God's will and they expiate sins. Second: Suicide due to the loss of loved ones and its treatment in the light of belief in fate. The prophetic treatment came through: mentioning the highest interests, the most important of which is bringing, and the highest evils, the most important of which is repelling, and being patient with what is destined, achieving contentment. Third: Suicide due to the inability to meet the requirements of life and its treatment in light of belief in destiny. The Prophet - may God's prayers and peace be upon him - treated it preventively before and after it occurred through: trusting in God and taking reasons, seeking refuge from poverty, and urging work. Fourth: Suicide and justification by fate. The purified Sunnah of the Prophet emphasized that the servant should not be passive in dealing with fate, and not use fate as a peg on which to hang his wrong actions. Therefore, the prohibition of invoking suicide by fate came, and the emphasis on repelling fate by fate.

Keywords: method, prophet, destiny, treatment, suicide

المقدمة

الحمد لله الكبير المتعال، وصلاة وسلاما على نبيه ﷺ، وسائر الصَّحب والآل... وبعد،

فإن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فهو المرتكز لتصور الإنسان للأحداث، ومن تأوله على غير وجهه الصحيح فقد ضل؛ ولذلك فالعبد بحاجة إلى معرفة منهج النبي ﷺ في بيان العقائد وتوظيفها في علاج قضايا الواقع، حتى لا تلعب به عواصف الأهواء، فمن حقق الإيمان بالقدر كما بينه النبي ﷺ وجد فيه الكثير من الثمار العظيمة، التي تصلح حياته.

ولما كانت الحياة البشرية كلها من خلق الله، ولن تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من عند الله، ولن تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يُقَدَّم لها من الله بيد رسول الله-ﷺ- فلا ينبغي أن تكون العقيدة الإسلامية بطرحها العلمي في جانب، والأمة وقضاياها ومشكلاتها في جانب آخر، لذا جاء هذا البحث لبيان " منهج النبي ﷺ في معالجة القدر وقضاياه المعاصرة–الانتحار أنموذجًا-".

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: ضرورة بيان منهج النبي ﷺ في معالجة القدر؛ لخطورته ودقته وعمقه، فالعقل البشري غير كفء لإدراكه.

ثانيا: التأكيد على أن الإيمان بالقدر هو الزاد في مواجهة مشكلات العصر العقدية، ولاسيما مشكلة الانتحار.

ثالثًا: بيان أن المنهج النبوي يستطيع سبر أغوار النفس البشرية ليزيح عنها ما طمس فطرتها.

رابعًا: التأكيد على أن منهج النبيﷺ في معالجة القدر شعلةٌ توقد شموسَ الإيمان ليكون سلوكًا عمليًا على أرض الواقع.

خامسًا: معالجة الواقع الأليم وما أصاب الأمة اليوم من كثرة وقوع الانتحار بين أفرادها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتنقيب لم أجد أية دراسة سابقة تتعلق بموضوع البحث من الناحية العقدية، وإنما وجدت دراسات تتعلق بالناحية الحديثية والتربوية، ومن أبرز هذه الدراسات ما يأتي:

أولاً: هدي النبيﷺ في ترسيخ الإيمان بالقدر: شبيب جهيران نايف المهاشير، بحث منشور بالمجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، المجلد ٣٣، العدد١، يناير ٢٠٢١م. واشتمل على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: هدي النبي ﷺ

في تقرير مسائل القدر(تناول فيه الاستخارة والتحذير من التفريط في الأخذ بالأسباب)، المبحث الثاني: معرفة هدي النبي ﷺ في معالجة شبهات القدر(تناول فيه معالجة تساؤلات الصحابة، ومعالجة شبهات المنافقين)، المبحث الثالث: معرفة هدي النبي ﷺ في تقرير ثمرات الإيمان بالقدر(تناول فيه الإخلاص، والصبر، والقناعة، والرضا، والاستقامة، والكرم وعلو الهمة، والسلامة من الحسد، والقضاء على الكسل). وتناولت هذه الدراسة قضايا تختلف تمامًا عما تناولته دراستي.

ثانيًا: الانتحار أسبابه وعلاجه - دراسة في ضوء السنة النبوية: محمد سيد أحمد شحاته، مجلة كلية أصول الدين بأسيوط، العدد الثالث والثلاثون، عام ٢٠١٥م، وقد عرفت الدراسة الانتحار وأسبابه معالجة السنة النبوية للانتحار، وقد غلب عليها الطابع الحديثي والفقهي. وخلت من توظيف الإيمان بالقدر في علاج الانتحار.

ثالثًا: الانتحار دوافعه وعلاجه في ضوء السنة النبوية: محمد عبدالعزيز متولي، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية-جامعة الأزهر، العدد الثامن والثلاثون، عام ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م. وعرفت الانتحار وأسباب. وقد خلت أيضًا من توظيف الإيمان بالقدر في علاج الانتحار.

لذا فإن هذه الدراسات على ما فيها من جهدٍ كبير لا تخدم موضوع البحث إلا في جوانب ضيقة؛ لأن هذه الدراسة التي بصددها هي دراسة عقدية تعنى بأسلوب النبي ﷺ في ترسيخ عقيدة القدر وتوظيفها في معالجة الانتحار.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي؛ باستقراء أحاديث النبي-صلى الله عليه وسلم-المتعلقة بموضوع الدراسة، ثم المنهج التحليلي بتحليل الأحاديث للكشف عن الفوائد التي تتعلق بموضوع الدراسة، ثم المنهج الاستنباطي لاستنباط منهجية النبي-ﷺ- في معالجة الانتحار في ضوء الإيمان بالقدر.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المقدمة: وتضم أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة...

المبحث الأول: التعريف بالقدر وأصوله ومراتبه وآثاره:

المطلب الأول: التعريف بالقدر لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أصول الإيمان بالقدر.

المطلب الثالث: مراتب الإيمان بالقدر.

المطلب الرابع: آثار الإيمان بالقدر.

المبحث الثاني: المنهج النبوي ومعالجة الانتحار في ضوء الإيمان بالقدر:

المطلب الأول: الانتحار بسبب الاكتئاب وعلاجه في ضوء الإيمان بالقدر.

المطلب الثاني: الانتحار بسبب فقدان الأحبة وعلاجه في ضوء الإيمان بالقدر.
المطلب الثالث: الانتحار بسبب عدم القدرة على تلبية متطلبات الحياة وعلاجه في ضوء الإيمان بالقدر.
المطلب الرابع: الانتحار والاحتجاج بالقدر.
الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.
قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

التعريف بالقدر وأصوله ومراتبه وآثاره

المطلب الأول: تعريف القدر لغةً واصطلاحًا:

القدر لغةً: مبلغُ كلّ شيء. يقال: قَدْرُهُ كذا، أي مبلغه. وقدَرت الشيء أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ من التقدير، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ. والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها(١).

ويأتي القدر في السياق القرآني على عدة معانٍ، فيأتي بمعنى التدبير، قال تعالى: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾(٢)، أي دبَّرنا الأمور، أو أردنا وقوعها بحسب تدبيرنا(٣).

ويأتي بمعنى القضاء والإحكام: قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾(٤) أي: " قضينا به بينكم، وكتبناه عليكم" (٥)، وقال تعالى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾(٦)، أي: " قضى عليهم في أم الكتاب، فقد قضاه الله أزلاً" (٧)، ويأتي بمعنى الصنع بمقادير معينة: قال تعالى: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾(٨) أي: "فجاءَت كما قدروا لا تزيد على ذلك ولا تنقص"(٩).

القدر اصطلاحًا: عرَّف العلماء القدر في الاصطلاح بتعريفات متقاربة فيما بينها، ومرتبطة بصفات الله وأفعاله.

عرَّف الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله-القدر عندما سئل عنه بتعريفٍ جامعٍ مانعٍ لمدلول القدر، فقال: " القدر قدرة الله على العباد" (١٠).

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، ٥/ ٦٢.

(٢)سورة المرسلات، الآية (٢٣).

(٣)التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، ١٠/١٧٣٠.

(٤) سورة الواقعة، الآية (٦٠).

(٥)نفس المرجع ٩/ ١٢٥٨.

(٦) سورة القمر، الآية (١٢).

(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ٤/ ٢١٩.

(٨) سورة الإنسان، الآية (١٦).

(٩) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٠/ ١٧٠٩.

(١٠) مسائل الإمام أحمد رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانيء النيسابوري(ت ٢٧٥هـ)، كتاب الأطعمة، السنة والرد على أهل الأهواء، مسألة رقم ١٨٦٨، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ٢/ ١٥٥.

وقال الإمام الغزالي-رحمه الله-: " والقدر: هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص " (١).

وقال محمد بن أحمد السفاريني: " القدر ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائنٌ إلى الأبد، وأنه - عز وجل - قدَّر مقاديرَ الخلائق وما يكون من الأشياء قبلَ أن تكون في الأزل، وعلم - سبحانه وتعالى - أنها ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده - تعالى -، وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ، فهي تقع على حسب ما قدَّرها"(٢).

ويتضح من هذه التعريفات أن الإمام أحمد-رحمه الله- ربط القدر بصفة القدرة. أما تعريف الإمام الغزالي –رحمه الله- للقدر وكذلك تعريف السفاريني، فإنهما متقاربان في المعني، فهما يدوران حول أزلية القدر وأن الأسباب والنتائج مقدرة أزلاً في علم الله وكتابته ومشيئته، ولا تقع إلا حسب إرادته.

الفرق بين القضاء والقدر:

قال الجرجاني-رحمه الله-: " والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها"(٣)، فالقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال. وقيل: القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل، فالقضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله(٤).

ومن العلماء من يرى أنهما متلازمان، قال ابن الأثير-رحمه الله-: "فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رَامَ الفصلَ بينهما فقد رام هدمَ البناءِ ونقضه"(٥) .

وتأسيسًا على ما سبق يمكن القول بأن القضاء والقدر إذا اجتمعا افترقا، فيصبح لكل منهما معنى يختص به، وإذا افترقا اجتمعا، وحلَّ أحدهما في معنى الآخر.

---

(١) كتاب الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق: لأبي حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ)، دار القلم-دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٢٧.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ١/ ٣٤٨.

(٣) التعريفات: الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ص٢٢٠.

(٤) انظر: كتاب الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق: لأبي حامد الغزالي، ص ٢٧، وانظر: فتح الباري: لابن حجر، ١١/ ٤٧٧.

(٥)النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى وآخرون، ٤/ ٧٨.

المطلب الثاني: أصول الإيمان بالقدر:

للإيمان بالقدر عدة أصول ينبني عليها، وهي على النحو الآتي:

أولاً: الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان:

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان(١)، ومن تأوله على غير وجهه الصحيح فقد ضل، ومن الأدلة على هذا الركن العظيم قوله تعالى:﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (٢)، قال ابن الجوزي-رحمه الله-: " وهذا الكلام عام في كل شيء"(٣)، وقال ابن كثير-رحمه الله-: " وكان أمره الذي يُقدِّره كائنًا لا محالة، وواقعًا لا محيد عنه ولا مَعْدَل، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"(٤).

ورُوِي عن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين - أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكْتَنَفْتُهُ أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إليَّ، فَقُلْتُ أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر:أُنُفٌ، قال: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثم ساق حديث جبريل-عليه السلام- عندما سأل النبي-ﷺ- عن الإيمان فقال ﷺ: : «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(٥)، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»(٦).

قال النووي-رحمه الله-: " وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وقد أكثر العلماء من التصنيف فيه، ومن أحسن المصنفات فيه وأكثرها

(١) أركان الإيمان كما قرر القرآن والسنة ستة: (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٣٨).

(٣) زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ ١٤٢٢ هـ، ٢/ ٥٢٩.

(٤) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٢٧.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، ١/ ٣٦ رقم ٨.

(٦) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، ٤/ ٤٥١ رقم ٢١٤٤، وصححه الألباني الألباني في السلسلة الصحيحة ٥/ ٥٦٦.

فوائد كتاب الحافظ الفقيه أبي بكر البيهقي - رضي الله عنه- وقد قرر أئمتنا من المتكلمين ذلك أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية"[١].

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-: "ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: أولاً: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لمَ؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان بها"[٢].

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " فإن أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلاً عن الفاضل الجليل، ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فهو من أسنى المقاصد والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالعدل قوام الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة، وكمال النعمة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فبالقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٣]"[٤].

فالإيمان بالقدر هو أن يؤمن العبد بأن الله علم ما سوف يكون وكتبه في اللوح المحفوظ، وأنه لا يكون في الوجود شيء إلا بعد إرادته، ولا يكون إلا ما يريد، وأنه خالق كل شيء، وليس من شيء موجود إلا والله خالقه، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ثانيًا: فهم القدر في ضوء الكتاب والسنة:

يجب الاعتماد في الإيمان بالقدر على الكتاب والسنة، وترك الاعتماد في ذلك على نظر العقول ومحض القياس، فالعقل لا يستطيع بنفسه أن يحقق النجاة في هذا الباب، فالعقل يُوَظَّف فيما خُلِق له وهو التعرف على عالم الشهادة لاكتشاف الكون وقوانينه، أما في عالم الغيب فهو متعلم يأخذ العلم عن الخبر، فيتعرف على الله-جلَّ جلاله- بالعودة إلى القرآن والسنة ويكون العقل أساسًا لفهمهما، ولا يُقدَّم العقل عليهما[٥]، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١/ ١٥٥.

(٢) أصول السنة: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، دار المنار، ط١، ١٤١١هـ، ص ١٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار المعرفة، المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٢.

(٥) انظر: المرجع نفسه، ص٣.

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١] فالنبي-ﷺ- أعقل أهل الأرض ومع ذلك لم يدرِ ما الكتاب ولا الإيمان إلا عن طريق الوحي القرآني والنبوي[٢]. فالعبد بحاجة إلى الوحي لكي يأخذ بيده إلى شاطئ النجاة، حتى لا تلعب به عواصف الأهواء.

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه: ألا تتأول نصوص الوحي في باب القدر وغيره تأويلاً حسب الآراء والأهواء، وإنما تُفْهم نصوص الوحي كما فهمها الصحابة والتابعون-رضي الله عنهم- ومن سار على نهجهم.

قال الإمام أبوالحسن الأشعري-رحمه الله-: "فإن كثيرًا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين، وخالفوا روايات الصحابة رضي الله عنهم عن نبي الله ﷺ"[٣].

ومن الزائغين عن الحق القدرية[٤]، الذين يقولون لا قدر وأن الأمر أنف فمن شاء هدى نفسه ومن شاء أضلها ومن شاء بخسها حظها وأهملها ومن شاء وفقها للخير وكملها، كل ذلك مردود إلى مشيئة العبد ومقتطع من مشيئة العزيز الحميد، حتى جعلوا العبد يستقل بأفعاله، وأخرجوها من إرادة الله ومشيئته، فالعبد عندهم يخلق فعله بنفسه بإرادته المستقلة[٥].

وقالت الجبرية[٦] بعكس ما قالت القدرية، فكانوا على النقيض معهم، إذ قالوا إن العبد لا إرادة له في أفعاله ولا اختيار، وليس هو الفاعل الحقيقي أبداً، وإنما الفاعل هو الله، وما ورد في القرآن من نسبة الفعل إلى العبد هي نسبة مجازية، ولم

---

(١) سورة الشورى، الآية (٥٢).

(٢) انظر: الوحي والإنسان - قراءة معرفية: محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ص ٨٧ .

(٣) الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ، ص ١٤.

(٤) القدرية: هم أتباع معبدٍ الجُهَنِيّ، وغيلان الدمشقي، منكرون للقدر، مكذبون بتقدير الله تعالى لأفعال العباد، قالوا: إن علم الله مستأنفٌ ليس بقديم، وإن العباد هم الموجِدون لأعمالهم. انظر: الملل والنحل: الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، ١/ ٤٣.

(٥) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل - القاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني - تحقيق تحقيق مصطفى السقا ورفاقه - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٨٥هـ، ٨/ ٣، نقلاً عن موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ٤/ ٥.

(٦) الجبريَّة: هم أتباع جهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم؛ الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤ هـ؛ والقائلون: إن العباد لا إرادة لهم ولا قدرة لهم على فعل الطاعات ولا ترك المنهيات، وهم مجبورون على فعل ذلك كله. انظر: الملل والنحل: ١/ ٨٧.

تكن نسبة حقيقية، إن هي إلا أفعال الله تعالى أجراها على يد العبد والعبد مجبور عليها غير مريد لها، ولا اختيار له في فعلها أو تركها(١).

والأمر الذي تنبغي الإشارة إليه: أن كليهما أصاب في جانبٍ وأخطأ في جانبٍ آخر، فالجبرية أصابت في أن الله خالق أفعال العباد، وأخطأت في أن العباد ليس لهم إرادة ومشيئة داخلة تحت إرادة الله ومشيئته، وعلى العكس القدرية، ويترتب على قولهما انتفاء الحكمة من إرسال الرسل-عليهم السلام-وانتفاء الأوامر والنواهي؛ ويرجع ضلال هذه الفرق إلى عدم الاعتماد على القرآن وصحيح السنة في معرفة القدر وأبعاده وحدوده، والاعتماد على العقول، والعقول التي لا تستطيع أن تضع المعالم التي تنقذها من الضلال في هذا الباب.

ولقد حذر النبي ﷺ من سلوك هذا المسار، فقد رُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه- قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي القَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: «أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ»(٢).

ومما هو حريٌّ بالتنبيه إليه: أن العقل البشري بإمكانه أن يدرك ما في الأفعال من حُسْنٍ وقبحٍ، لتبحث العقول في الحِكَم الباهرة التي خلق الله من أجلها المخلوقات، وشرع من أجلها ما شرعه من أحكام، وهو باب كبير، يُثَبِّت الإيمان، ويُزيد اليقين، ويُعَرِّف العباد بإبداع الخالق(٣).

وتأسيسًا على ما سبق: يمكننا القول بأن الالتزام في معرفة القدر بما جاء به القرآن وصحيح السنة فيه أدب مع الله-جلَّ جلاله- فما يراه الإنسان شرًا من جانبٍ قد يحمل من جوانب الخير ما الله به عليم، فالله سبحانه وتعالى لا يحيط بعلمه أحد، كذلك لا يحيط بحكمته أحد، فالشر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له، بل باعتبار المقدور له، فالتقدير ليس فيه شر بوجه من الوجوه بل كله خير، أما المقدور له فيرى الشر من جهة عدم ملائمة المقدر له، أما إن نظرنا من جهة الحكمة الإلهية ففيه الخير الكثير، " فإن أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها" (٤).

---

(١)انظر: الملل والنحل: ١/ ٨٧.

(٢) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، ٤/ ٤٤٣ رقم ٢١٣٣ ، وقال: حديث غريب. وحسنه الألباني. انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، ٥/ ١٣٣.

(٣) انظر: القضاء والقدر، للأشقر، ص ٤٩- ٥٠.

(٤) انظر: بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق : هشام عطا وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ١/ ١٧١.

ثالثًا: عدم الخوض والنزاع في القدر بالباطل:

قال أبوبكر الآجري-رحمه الله- " لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من سر الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق"(١).

فالخوض والتعمق فيه ذريعة الخذلان، والله تعالى طوى علم القدر عن الأنام، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يفعلُ وهم يُسْأَلُونَ﴾ (٢)، وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا»(٣).

وقد يسأل سائل: لماذا تكلم العلماء والباحثون في القدر وصنفوا فيه الكثير، مع أنه ثمة أدلة نهت عن التنازع فيه؟

والجواب: أن النهي جاء عن السؤال بكيف، ولِمَ، وليت ، ولو، ولماذا قدر كذا وكذا؟ وذلك لأن القدر سر من أسرار الله اختص به الرب فلم يُطْلِع عليه أحدًا من خلقه. فلا يسأل عن الحكمة في القدر وسر الله فيه. وإنما يؤمن بالقدر كله ويسلم له، ويرد ما استشكل إلى الله تعالى(٤).

قال ابن بَطة: " القدر على وجهين أحدهما: فرض علينا علمه ومعرفته والإيمان به والتصديق بجميعه، والآخر: فحرام علينا التفكير فيه، والمسألة عنه، والمناظرة عليه، والكلام لأهله، والخصومة به، فالواجب علينا علمه والتصديق به، والإقرار بجميعه أن نعلم أن الخير والشر من الله وأن الطاعة والمعصية بقضاء الله وقدره، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما اخطأنا لم يكن ليصيبنا..

وأما الوجه الآخر من علم القدر الذي لا يحل النظر فيه ولا الفكر به وحرامٌ على الخلق القول في كَيفَ وَلم وَمَا السَّبَب، مِمَّا هو سر الله المخزون وعلمه المكنون الذي لم يطلع عليه مكلفًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، وحجب العقول عن تخيل كنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس كلما ازداد فيه نظرًا ازداد فيه تحيرًا، ومن العلم بكيفيتها بُعدًا... فبالفكر في هذا أو شبهه والتفكير والبحث والتنقير منه هلكت القدرية ومن سار على دربهم"(٥).

---

(١) الشريعة: أبو بكر الآجُرِّيُّ (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: عبد الله الدميجي، دار الوطن – الرياض، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٢/ ٧٠٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٢٣).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٩٨ رقم ١٠٤٤٨، والبيهقي في القضاء والقدر ، ص ٢٩١ رقم ٤٤٤، وقال الهيثمي: " وَفِيهِ يَزِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ٢٠٢.

(٤)انظر: الإبانة الكبرى: ابن بَطَّة العكبري (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق: عثمان الأثيوبي وآخرون، دار الراية – الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ، ٣/ ٢٢٥.

(٥) انظر: المرجع نفسه، ٣/ ٢٢٧- ٢٢٨ بتصرف يسير.

المطلب الثالث: مراتب الإيمان القدر:

تقوم عقيدة الإيمان بالقدر على أربع مراتب، من أقرَّ بها جميعًا كَمُلَ إيمانه، ومن انتقص واحدةً منها اختل إيمانه بالقدر، وهذه المراتب ثابتة بأدلة القرآن وصحيح السنة، وهي على النحو الآتي:

أولاً: مرتبة الإيمان بعلم الله:

أي: الإيمان بأن الله-جلَّ جلاله- قد أحاط علمه بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، وهذا ما اتفق عليه الرسل-عليهم السلام-من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة، وقد كثر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تقرير هذه المرتبة(١).

قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢)، وقال عزَّ اسمه: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٣).

وفي هاتين الآيتين بيان لإحاطة علم الله بالكائنات ظاهرها وخفيها، وجليلها ودقيقها، وهما من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شاملٌ للغيوب كلها، وبعض المذكور فيهما يُبهر عقول العقلاء، ويُذهل أفئدة النبلاء، وأن الخلق كلهم لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض علمه، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك(٤).

وقد أفصحت السنة النبوية عن هذه المرتبة وبينت أن الله يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون، لما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(٥).

قال الإمام ولي الله الدهلوي-رحمه الله-: "واعلم أن الله تعالى شمل علمه الأزلي الذاتي كل ما وجد، أو سيوجد من الحوادث، مُحال أن يتخلف علمه عن شيءٍ أو يتحقق غير ما علم، فيكون جهلاً لا علمًا، وهذه مسألة شمول العلم"(٦).

---

(١) انظر: شفاء العليل: لابن القيم، ص ٢٩، وانظر: القضاء والقدر: للأشقر، ص ٢٦- ٢٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية (٥٩).
(٣) سورة سبأ، الآية (٣).
(٤) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية– تونس،١٩٨٤م، ٢٢/ ١٤٠، وانظر: تيسير الكريم الرحمن: عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ١/ ٢٥٩، حجة الله البالغة: ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ١/ ١٢٦.
(٥) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، ٨/ ١٢٢ رقم ٦٥٩٧
(٦)حجة الله البالغة: ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ١/ ١٢٦.

وروى جابر بن عبدالله-رضي الله عنهما ، قال: جاء سراقة بن مالك بن جُعْشُمٍ، قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن ، فِيمَ العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» فَقَالَ: فِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»(١).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى ﴾(٢)،(٣).

قال الإمام بدر الدين العيني-رحمه الله-: فـ" الرب تعالى أمرنا بالعمل فلا بد من امتثاله، وغَيَّبَ عنا المقادير لقيام حجته وزجره، ونصب الأعمال علامة على ما سبق في مشيئته، فسبيله-أي القدر- التوقف، فمن عدل عنه ضل؛ لأن القدر سر من أسراره لا يطلع عليه إلا هو"(٤).

فلا يجوز البتة الاتكال على القدر وترك العمل، لأن مصير العبد الدنيوي والأخروي مرتبطٌ بالأسباب المؤدية إليه.

ثانيًا: مرتبة الكتابة:

تدل هذه المرتبة على أن الله - جلَّ جلاله – كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ(٥).

وقد دَلَّ على هذه المرتبة قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٦)، وقوله-جلَّ جلاله-:﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٧).

قال السعدي-رحمه الله-: " وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خيرٍ وشرٍ، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه..، ٤/ ٢٠٤٠ رقم ٢٦٤٨.
(٢) سورة الليل، الآية (٦).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب "فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى" ٦/ ١٧١ رقم ٤٩٤٩.
(٤) عمدة القاري: بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٨/ ١٨٩.
(٥) انظر: شفاء العليل، ص ٤١.
(٦) سورة التوبة، الآية (٥١).
(٧) سورة الحديد، الآية (٢٢).

من الخير والشر، فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه"[١].

ومن إفصاحات السنة النبوية عن هذه المرتبة ما رُوِيَ عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ "[٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَلَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا، **وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِئَ صَحْفَتَهَا وَلْتَنْكِحْ، فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللهُ لَهَا**»[٣]

قال ابن عبد البر-رحمه الله-: " هذا الحديث من أحسن أحاديث القدر عند أهل العلم لما دل عليه من أن الزوج لو أجابها وطلق من تظن أنها تزاحمها في رزقها فإنه لا يحصل لها من ذلك إلا ما كتب الله لها سواء أجابها أو لم يجبها "[٤].

فلا ينبغي للمرأة أن تسأل زوجها أن يطلق ضَرَّتَهَا لتنفرد به، فإنما لها ما سبق به القدر عليها، فلا ينقصها طلاق ضَرَّتِهَا شيئًا مما جرى به القدر لها ولا يزيدها[٥].

ثالثًا: مرتبة المشيئة:

معنى هذه المرتبة: أنه ما من موجود إلا وقد شاء الله تعالى وجوده، وما من معدوم إلا وقد شاء الله تعالى عدمه، ولا يمكن أن يقع شيءٌ في الكون إلا بمشيئته؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[٦].

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٨٤٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ٤/ ٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٣.

(٣)أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، ٨/ ١٢٣رقم ٦٦٠٠، ومسلم، كتاب النكاح ، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ، ١٠٢٩/٢ رقم ١٤٠٨.واللفظ لمسلم.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى العلوي , محمد عبد الكبير ، الأوقاف المغربية، ١٣٨٧ هـ، ١٨/ ١٦٥.

(٥) انظر: فتح الباري: ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ١١/ ٤٩٥. طرح التثريب في شرح التقريب: زين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ٧/ ٣٩. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٤/ ٣٩١.

(٦) انظر: إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت، ١/ ٩٠-٩١، شفاء العليل، ص ٤٣.

وقد دَلَّ عليها قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)، وقوله عزَّ اسمه:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٢).

ولقد أفصحت السنة النبوية عن هذه المرتبة كل الإفصاح، وأوضحتها كل الإيضاح، وظهر ذلك جليًّا فيما بَوَّبَه الإمام البخاري-رحمه الله- في جامعه الصحيح، فلقد بَوَّبَ في كتاب التوحيد بابًا أطلق عليه : " باب في المشيئة والإرادة". أورد فيه عشرين حديثًا عن مشيئة الله وإرادته، ومما أورده ما رُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ - وَرُبَّمَا قَالَ جَاءَهُ السَّائِلُ - أَوْ صَاحِبُ الحَاجَةِ، قَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ»(٣). فإن شاء الله قُضِيَت حاجته بالشفاعة له وذلك بتقدير الله، وإن لم تُقْضَ فذلك أيضًا بتقدير الله.

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ-رضي الله عنهما-، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»(٤). فالله سبحانه وتعالى متصرفٌ في قلوب عباده كيف شاء، لا يمتنع عليه منها شيءٌ، ولا يفوته ما أراده، كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين إصبعيه، فخاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعاني الحسية؛ تأكيدًا له في نفوسهم(٥).

رابعًا: مرتبة الخلق:

يقصد بهذه المرتبة: " الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فهو خالق كل عاملٍ وعمله, وكل متحركٍ وحركته, وكل ساكنٍ وسكونه, وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها, سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه"(٦).

وقد دَلَّ على هذه المرتبة قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(٧)، وقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٨). وقوله تعالى: تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. فإخباره بأنه خالق على كل شيء وأنه على كل شيء

(١) سورة آل عمران، الآية (٢٦).
(٢) سورة يس، الآية (٨٢).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ٩/ ١٣٩ رقم ٧٤٧٦.
(٤) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ٤/ ٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٤.
(٥) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم: يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٦/ ٢٠٤.
(٦) معارج القبول: حافظ الحكمي (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر محمود ، دار ابن القيم – الدمام، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ٣/ ٩٤٠.
(٧) سورة الزمر، الآية (٦٢).
(٨) سورة الصافات، الآية (٩٦).

وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها(١).

ولقد قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَعَّدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ عَائِذٌ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ»(٢).

ففي هذا الحديث إقرار واضح بأن الله تعالى هو الفاعل لكل ما طلبه النبي-ﷺ- في دعائه.

وعَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ»(٣).

ومما هو حريٌ بالتنبيه إليه: أن أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلةٌ في خلق الله وقضائه وقدره، ولكنهم هم الفاعلون لها، لم يجبرهم الله عليها، فإن الله خالق قدرتهم وإرادتهم وهما السبب في وجود أفعالهم وأقوالهم وخالق السبب التام خالق للمسبب، والله أعظم وأعدل من أن يجبرهم عليها(٤).

وتأسيسًا على ما سبق: فهذه المراتب الأربعة لا بدَّ من الإيمان بها، ومن جحد منها مرتبة لم يكن مؤمنًا بالقدر.

المطلب الرابع: آثار الإيمان بالقدر:

من حقق الإيمان القدر كما بينه النبي-ﷺ- نال ثمارا عظيمة، منها ما يأتي:

أولاً: إفراد الله بالعبودية:

من أيقن أنه لا ينفعه شيءٌ إلا المقدر له، ولن يضره شيءٌ إلا المقدر عليه، أفرد الخالق بالعبودية، فلا يسأل إلا الله ولا يستعين إلا به ولا يلجأ إلا إليه ولا يشكو

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٧٢٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٤/ ٢٤٦ رقم ١٥٤٩٢، قال الهيثمي:" وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ" ٦/ ١٢٢.

(٣)خلق أفعال العباد: للإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية – الرياض، ص ٤٦، وأخرجه البيهقي في القضاء والقدر، ص ١٧٠ رقم ١٣٣.

(٤) انظر: الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية: عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ١١.

إلا له ولا يطيع إلا إياه، كما جاء في وصية النبي-ﷺ- لابن عباس- رضي الله عنهما-: " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"(١).

فهذه أعظم وصية، لأن "العبد إذا علم أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يُقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار" (٢).

ثانيًا: الطمأنينة وعدم القلق:

إن الإيمان بالقدر يجعل العبد يمضي في حياته على منهج سواء، لا تبطره النعمة، ولا تيئسه المصيبة، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعم وحسنات من الله، لا بذكائه وحسن تدبيره وإذا أصابه الضر والبلاء علم أن هذا بتقدير الله ابتلاء منه، فلا يجزع ولا ييأس، بل يحتسب ويصبر، فيكسب هذا الإيمان في قلب العبد المؤمن الرضا والطمأنينة، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٣).

ثالثًا: الاستقامة على منهج سواء في السراء والضراء:

فالمؤمن الذي يشاهد القدر يعلم يقينًا أنه ما من شدةٍ أو ابتلاءٍ وقع له إلا بمشيئة الله وتقديره، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، هانت عليه الشدائد والابتلاءات، وذلك باستحضاره معاني القدر في قلبه، كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٤). فالإيمان بالقدر يجعل العبد في استقامة على منهج سواء في السراء والضراء.

(١)أخرجه الترمذي ٤/ ٢٤٨ رقم ٢٥١٦، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ "

(٢)جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١/ ٤٨٤-٤٨٥

(٣) سورة الحديد، الآية (٢٢-٢٣).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب القدر، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، ٤/ ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩.

رابعًا: اتقان العمل والاعتماد على الله عند فعل الأسباب:

صاحب الإيمان الصحيح بالقدر يباشر الأسباب المباحة بيده، ويبذل معه في الأخذ بالأسباب ولا يعجز ولا يتواكل ولكنه يعتمد على الله وحده في نجاح تلك الأسباب المبذولة لا على الأسباب ذاتها، ولقد كان كذلك إمام المتوكلين محمد ﷺ، فقد اختفى في الغار يوم الهجرة، أخْذًا بالأسباب, ولم يكن اعتماده على السبب نفسه، وإنما كان اعتماده على الله العلي القدير(١).

خامسًا: تحرير العقل من الشرك بنوعيه والخرافات والأباطيل:

المؤمن بالقدر يعلم يقينًا أن كل ما يقع في الكون بتقدير الله، وأن قدر الله غيب لا يعلمه إلا هو، فإن حقق ذلك حرَّر عقله من الاعتقاد بأن أرواح الأموات تتصرف بعد الموت فتقضي الحاجات وتفرج الكربات، وحرر عقله من الاعتقاد أن غير الله تعالى يعلم الغيب، لأن في ذلك ادعاء مشاركة الله تعالى في صفة من صفاته الخاصة به، وهي "علم الغيب"؛ فيرفض آراء الكهان والعرافين... وكل من ادعى أنه يعرف علم ما غاب عنه من دون أن يُخبر به على وجه شرعي، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك بقوله:" ليس منا من تَطيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ"(٢).

(١) انظر: العقل والنقل عند ابن رشد: أحمد محمد أمان بن علي جامي (ت ١٤١٥هـ)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الحادية عشرة - العدد الأول ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٠٣.

(٢) أخرجه البزار في مسنده، ٩/ ٥٢ رقم ٣٥٧٨، ووثق رجاله الهيثمي. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥/ ١١٧.

المبحث الثاني

المنهج النبوي ومعالجة الانتحار في ضوء الإيمان بالقدر

الانتحار: هو التصرف المتعمد من قبل شخص ما لإنهاء حياته. ويرى آخرون أنه قتل النفس تخلصًا من الحياة(١).

ونشرت منظمة الصحة العالمية تقريرًا عن الانتحار، جاء فيه: "ينتحر كل عام أكثر من ٧٠٠٠٠٠ شخص، تقابل كل حالة انتحار حالات أخرى عديدة من محاولات الانتحار، ومحاولة الانتحار من قبل هي العامل الوحيد الأهم الذي يزيد من احتمال الإقدام مرة أخرى على الانتحار لدى المنتحرين.

والانتحار هو السبب الرئيسي الرابع للوفاة في صفوف الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٩ عاماً، وأظهر التقرير أن ٧٧% من حالات الانتحار في العالم تحدث في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، ويعتبر ابتلاع المبيدات، والشنق والأسلحة النارية من بين الأساليب الأكثر شيوعا للانتحار على مستوى العالم.

من هم المعرضون للانتحار؟ على الرغم من ثبوت الصلة بين الانتحار والاضطرابات النفسية (خاصة الاكتئاب والاضطرابات الناجمة عن تعاطي الكحول) في البلدان المرتفعة الدخل، فإن كثيرًا من حالات الانتحار تحدث باندفاع في لحظات الأزمة عندما تنهار قدرة المرء على التعامل مع ضغوط الحياة، مثل المشاكل المالية، أو الانفصال أو الطلاق أو الآلام والأمراض المزمنة.

وبالإضافة إلى ذلك، ثمة صلة قوية بين النزاعات والكوارث والعنف وسوء المعاملة أو فقد الأحبة والشعور بالعزلة بالسلوك الانتحاري. وترتفع معدلات الانتحار كذلك بين الفئات الضعيفة التي تعاني من التمييز مثل اللاجئين والمهاجرين؛ والشعوب الأصلية؛ والمثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية وحاملي صفات الجنسين؛ والسجناء. بيد أن أقوى عامل يزيد من احتمال الانتحار هو الإقدام على محاولة انتحار من قبل "(٢).

ورصد لنا هذا التقرير أهم أسباب الانتحار؛ ولذا نناقش هنا أسباب الانتحار وعلاجها في ضوء منهج النبي ﷺ في الإيمان بالقدر، من خلال المطالب الآتية:

---

(١) انظر: علم النفس دراسة الحواس الداخلية عبر السلوك اليومي للإنسان، هاني يحيى نصري، دار الأرقم، ٢٠٠٥م، ص ٢٢.

(٢) موقع منظمة الصحة العالمية، تاريخ الدخول (١٢ مايو، ٢٠٢٣م، الساعة السابعة مساء بتوقيت مصر):

https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/suicide

المطلب الأول: الانتحار بسبب الاكتئاب وعلاجه في ضوء الإيمان بالقدر:

الاكتئاب أحد أهم أسباب الانتحار. وهو اضطراب نفسي شائع، وينطوي على تكدّر المزاج، أو خلل في سائر الجسم والأفكار والمزاج يسبب شعورًا متواصلًا بالحزن، وفقدان المتعة، ونقص التركيز؛ مما يسبب كثيرًا من المشكلات العاطفية والجسدية، وقد يسبب الشعور باليأس من الحياة، والتفكير في الانتحار، وربما الإقدام عليه في الحالات المتقدمة(١) .

فالاكتئاب يصيب الروح والبدن في آنٍ واحد، فنرى الكثير من الشباب وغير الشباب إذا عجز عن تحقيق أهدافه، يصاب بالاكتئاب، فيهرب من الواقع، ويتمرد على المجتمع والقيم والأخلاق، **لذا نجد أن النبي-ﷺ – عالج الاكتئاب علاجًا وقائيًا قبل وقوعه من خلال الآتي:**

أولاً: الإقرار بأزلية القدر ووجوب الإيمان به:

إن الله- ﷻ- قدَّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى أزلاً، فعلمه شامل وكامل ومحيط بكل شيء، قال تعالى: ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ ولا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ ولا أَكْبَرُ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢) وكتب كل شيء عنده في اللَّوحِ المحفوظِ، فهو رازق قبل أن يخلق المرزوقين، وعالم قبل أن يخلق الخلق الذي يعلم أحوالهم أجمعين﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٣).

فكل ما يجري في الكون بمشيئته وإرادته، فما شاءه أن يكون فهو كائن وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الكون شيءٌ إلا وهو خالقه، وهذا ما قرره النبي-ﷺ- وأكد عليه، ومن ثمَّ جاء الإقرار بأزلية القدر ووجوب الإيمان به علاجًا للاكتئاب قبل وقوعه، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ، قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»(٤)، فكل شيء قد كتب ومضى به القدر، وعن عُبَادَةَ بْنِ

(١) انظر: علم النفس الإكلينيكي، سناء أبو نصير حجازي، دار المسير-عمان، ٢٠١٣م، ص ١١، موقع منظمة الصحة العالمية، تاريخ الدخول (١٩ مايو، ٢٠٢٣م، الساعة السابعة والنصف مساء بتوقيت مصر):

https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/depression

(٢) سورة سبأ، الآية (٣).

(٣) سورة النمل، الآية (٧٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، بَابُ ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ﴾ [هود: ٧]، ﴿ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، ٩/ ١٢٤، رقم ٧٤١٨.

الصَّامِتِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ " (١).

فالذي يُقْبِلُ على الانتحار بسبب الاضطرابات النفسية وبخاصة الاكتئاب غاب عنه الإيمان بالقدر، فإذا ما أصيب بمكروهٍ أو ضرٍ ظنَّ أن الخلاص منه يكون بالقضاء على النفس، فيرشده النبي-ﷺ- أنه مهما نزلت به المصائب وحلَّت عليه النوائب، فلا بُدَّ أن يوقن بأن الله وحده بيده مقادير الأمور، وأنه وحده سبحانه قادرٌ على تغير حاله، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ "(٢).

قال الخطابي-رحمه الله-: "وقد يحسب كثيرٌ من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبارُ الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه، وخَلَقَ لها خيرها وشرها"(٣).

ثانيًا: اللجوء إلى الله قبل وقوع القدر وبعد وقوعه:

حريٌّ بكل من أصابه مرضٌ أو ابتلاءٌ أن يُلقِيَ أموره كلها إلى الله وينزلها به طلبًا واختيارًا لا كرهًا واضطرارًا، ولنضرب مثلًا من واقع حياتنا أن الابن العاجز الضعيف المغلوب على أمره يلقي كل أموره إلى أبيه، لعلمه بشفقته عليه ورحمته به، فهو يرى أن قيامه بمصالحه وتوليه لها خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليه لها، وكذلك العبد عليه أن يوقن بكمال علم الله وقدرته وشفقته(٤).

ولما كان الاكتئاب مرض نفسي يصيب صاحبه بالآلام والأحزان والهموم، فقد وجَّه النبي-ﷺ- إلى علاجه قبل وقوعه وبعد وقوعه، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ-رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»(٥).

فالاكتئاب يصيب القلب والبدن معًا، قال الكرماني: " هذا الدعاء من جوامع الكلم، لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية وبدنية وخارجية، فالأولى بحسب العقلية والغضبية والشهوية، فالهم والحزن متعلقٌ بالعقلية، والجبن بالغضبية، والبخل بالشهوية، والعجز والكسل بالبدنية، والثاني يكون عند سلامةِ الأعضاء، وتمام

(١) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، بَاب وَمِنْ سُورَةِ ن، ٥/ ٤٢٤ رقم ٣٣١٩، وقال:" هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ".

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ٤/ ٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٣.

(٣) معالم السنن: أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية – حلب، ط١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م، ٤/ ٣٢٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي، ١/ ١٥٥.

(٤) انظر: مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية ، ٢/ ١٢٢.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات ، باب الاستعاذة من الجُبْنِ،٨/ ٧٩ رقم ٦٣٦٩.

الآلات والقوى، والأول عند نقصان عضو ونحوه، والضلع والغلبة بالخارجية، فالأول مالي والثاني جاهي، والدعاءُ مشتملٌ على جميع ذلك" (١).

والحزن يكون لِمَا مضى، والهم لِمَا يُستقبل، والإنسان إذا كان حزينًا فيما مضى مهتمًا لما يستقبل فإنه يتنكد عيشه، لكن إذا كان لا يهتم إلا بحاضره ويستعد لمستقبله على الوجه الذي أُمر به كان ذلك من طمأنينته فكان الرسول ﷺ يستعيذ بالله من الهم والحزن، والعجز وهو فقد القُدْرَة، والكسل عدم انبعاث النَّفس فِي الْخَيْر وقلة الرَّغْبَة فِيهِ مَعَ القُدْرَة...إلخ(٢).

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه: أنَّ الاستعاذة بالله من هذه الأمور فيها تعظيمٌ لله -عز وجل- وتسليمٌ وانقيادٌ له، فيلوذ العبد ويحتمي بخالق هذه الأمور، وفيها أيضًا معنى العبودية والافتقار والفزع إلى الله-عز وجل- ودفع حيرة العقول وفساد الفطرة، فيطمئن القلب ويستسلم؛ لأن العبدَ كائنٌ ضعيفٌ مما لا يحصى عدده من كائناتٍ مسخرةٍ بأمر خالق الوجود، وفق تقديره الذي لا يعلمه إلا هو، فلو أدرك هذا كله اطمأن واستراح، وعاش في سلام واستسلام لله تعالى، يستمد القوة لا من ذاته، ولكن من اتصاله بخالقه-عز وجل-.

ثالثًا: بيان أن المصائب تقع بقدر الله وأنها تكفر الذنوب:

المصائب المقدرة على العباد لا تخلو من أمرين، أحدهما: أن تكون بسبب ما وقع فيه العبد من المعاصي فقدر الله تعالى بسببها المصائب، فعليه الإنابة وإصلاح ما بينه وبين خالقه.

والآخر: أن تكون المصائب ابتلاء من الله لرفع الدرجات، وتكفير السيئات، فعليه الرضا بقدر الله، وألا يدع قلبه للشيطان ليحدث فيه التحسر والحزن والظن على قدر الله تعالى ، ويضعفه عن العمل ، ويُعجزه عن الطاعة، لذلك وجَّه النبي- ﷺ- إلى غلق سبيل الشيطان، وعدم التأسف ولوم القدر، والعمل على الصبر والرضا والإرشاد إلى ما ينفع من الكلام وما يتضمن الإيمان بالقدرف؛ قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٣).

---

(١) مرقاة المفاتيح: علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ٤/ ١٧٠٤.

(٢) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المناوي (ت ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١/ ٣٩٩. فيض القدير: للشوكاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ٣/ ١٤٤. شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ، ٦/ ٣٣.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب القدر ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ، ٤/ ٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤.

فالواجب على العبد بعد نزول المصائب التسليم للقدر، والصبر على ما أصابه، وألا يقول لو فعلت كذا، فهذا يُشعر بعدم الإيمان بالقدر، وعدم الصبر على ما فات، فيتسلط الشيطان عليه بالوساوس والهموم، "فإن فاته ما لم يُقَدَّر له فله حالتان: حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى" لو " ولا فائدة في" لو " ههنا، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قُدِّر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحدٌ، فلم يبقَ له ههنا أنفع من شهود القدر، ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت امتنع وجوده، فلهذا قال: فإن غلبك أمر فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين حالة حصول مطلوبة وحالة فواته، فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدًا"[(١)]. فما قدره الله لا بدَّ أن يكون، والواجب التسليم للمقدر، وما شاء الله فعل؛ لأن أفعاله لا تصدر إلا عن حكمة.

وعن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا »[(٢)].

فههنا نقل الإيمانُ بالقدر السائلةَ من طلب العلاج إلى الصبر على البلاء-مع عدم إغفال الطلب- والرضا بالقدر طلبًا للجنة، بل وحولها إلى طلب معالجة آثار الصرع الأخلاقية؛ فطلبت ألا تتكشف !! فكانت المعالجة الحكيمة من النبي ﷺ بأن دعا الله لها بأن لا تتكشف، فكان ذلك.

فمن ابتلى بأي مرض أو مصيبةٍ فلا يكتئب، ولا يحزن، ولا يفزع للانتحار، وإنما يتلقى ذلك بالصبر والاحتساب، وليرض باختبار الله وقدره له، ليحصل على أفضل العوضين وأعظم النعمتين وهى الجنة التي من صار إليها فقد ربحت تجارته، وكرمت صفقته ولم يضره ما لقي من شدة البلاء فيما قاده إليها[(٣)].

كيف نعرف أن البلاء رحمةٌ أو عقوبةٌ؟

الابتلاءات تصيب المسلم وغير المسلم على حد سواء، حتى لا يتصور أحد أن الله لا يبتلي غير المسلمين، قال تعالى: ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا

(١) شفاء العليل ، ص ١٩.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الْبِرّ وَالصِّلَةِ ، بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، ٤/ ١٩٩٠رقم ٢٥٧٦واللفظ لهما.

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري: أبو الحسن ابن بطال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ٩/ ٣٧٨.

تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]، **فعلى من يفكر في الانتحار أن يفكر في البلاء الذي نزل به، وقاده إلى هذا التفكير الخطير؛ ليعلم ما سببه، وهل هو رفعة درجات أم عقوبة؛ ليتعامل مع ذلك بما يجب شرعًا، فالابتلاء له مراتب كالتالي:**

أولًا: قد يكون عقوبة على الذنوب والمعاصي: "فما زالت عن العبد نعمةٌ إلا بذنب، ولا حلّت به نقمةٌ إلا بذنب؛ كما قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: ما نزل بلاءٌ إلا بذنبٍ، ولا رُفِعَ إلا بتوبةٍ"[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[3]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ"[4]، وقال ﷺ: " إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"[5].

ثانيًا: التمحيص: ليظهر الله العبد أمام نفسه، فقد لا يعرف العبد حقيقة نفسه إلا بعد وقوع المحنة والبلاء، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[6]، ورُوي عَنْ أَنَسٍ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[7]، وَبِهَذَا الإِسْنَادِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

(١) سورة النساء، الآية (١٠٤).
(٢)الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن قيم الجوزية دار المعرفة – المغرب،ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
(٣)سورة الشورى الآية (٣٠).
(٤) أخرجه ابن ماجه، كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الْعُقُوبَاتِ، ٢/ ١٣٣٢ رقم ٤٠١٩،وقال محققو سنن ابن ماجه: " وهذا إسناد حسن رجاله ثقات" سنن ابن ماجه: تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ٥/ ١٥٠
(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الرقائق، ١٠/ ٣٦٨ رقم ١١٧٢٩. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير، ١/ ١٦٥.
(٦) سورة الحج، الآية (١١).
(٧) أخرجه الترمذي ، باب ما جاء في الصبر على البلاء ٤/ ٦٠١ رقم ٢٣٩٦، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ من هذا الوجه".

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(١).

ثالثًا: التطهير للصابرين: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ بن أبي وقاص، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»(٢). وقال ﷺ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(٣).

وتأسيسًا على ما سبق: فإذا كان الابتلاءُ النازلُ بالعبد يقربه إلى الله -جل وعلا- فيصبر ويرضى ولا يتسخط ويؤمن بالقدر خيره وشره فيجدد التوبة والإقبال على الله ويعود إلى الطاعات فيكون الابتلاء رحمةً، أما إذا نزل الابتلاء بالعبد وسخط وشكى من الخالق إلى المخلوق، وسبَّ ولعن وتسخط على أقدار الله ويتهم الله في قدره وأقداره ولم يحقق الإيمان بالقدر كان الابتلاء عقوبةً، والمؤمن دائمًا من يحقق الإيمان بالقدر، لِمَا رُوِيَ عَنْ صُهَيْبٍ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٤).

فالمؤمن على كل حال هو على ما قدر الله له فهو خيرٌ له، إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله وانتظر الفرج من الله واحتسب الأجر على الله فكان خيرًا له، فنال بهذا أجر الصابرين، وإن أصابته سراء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح ونعمة دنيوية كالمال والبنين شكر الله فكان خيرًا له، ويكون عليه نعمتان نعمة الدين ونعمة الدنيا نعمة الدنيا بالسراء ونعمة الدين بالشكر هذه حال المؤمن(٥). المؤمن(٥). فمن يفكر في الانتحار أو يقدم عليه، ماذا قدَّم له الانتحار؟!!

المطلب الثاني: الانتحار بسبب فقدان الأحبة وعلاجه في ضوء الإيمان بالقدر.

إذا نظرنا إلى واقعنا اليوم نرى الكثير من الشباب يقبلون على الانتحار بسبب فقدان قريبٍ أو عزيزٍ أو حبيبٍ، ظنًّا منهم أن الحياة من دونه لا قيمةَ لها، فيلجأون للانتحار للخلاص من المعاناة، وتجاهل هؤلاء أن الله خالقُ كلَّ شيءٍ وربَّه

(١) أخرجه الترمذي ، باب ما جاء في الصبر على البلاء ٤/ ٦٠١ رقم ٢٣٩٦، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ من هذا الوجه".
(٢) أخرجه الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ، ٤/ ٦٠١ رقم ٢٣٩٨، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح".
(٣) أخرجه البخاري، كِتَابُ الأَشْرِبَةِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ، ٧/ ١١٤ رقم ٥٦٤١.
(٤) أخرجه مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، ٤/ ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩.
(٥) انظر: شرح رياض الصالحين ١/ ٢٥٠.

ومليكُه، وأنه لا يكون في الوجود شيءٌ إلا بمشيئته وقدرته ولا يمتنع عليه شيءٌ شاءه؛ بل هو قادرٌ على كل شيءٍ، فالنجاة فيما أحلَّ بهم تكمن في الصبر والرضا بالمقدر لا في الخلاص من النفس، فالقلوب بيد الله يجعل فيها أحباء وأصدقاء وأقرباء عوضًا عن المفقودين، **لذا جاءت المعالجة النبوية لموضوع الانتحار وفقدان الأحبة على النحو الآتي:**

أولاً: ذكر أعلى المصالح وأولاها بالجلب، وأعلى المفاسد وأولاها بالدفع .

يقدم الإنسان على الانتحار إذا فقد حبيبًا ظانًا أنه فقد بذلك مصلحة مهمة، وهذا خطأ. وعلاجه: معرفة أن تقدير الموت على هذا الحبيب قد اشتمل على مصلحة عظيمة، قد تخفى على العبد وقت وقوع المصيبة، ولكن قد يظهرها الله له لاحقا. وعليه معرفة أن هذا التقدير من أنفع المصالح للعبد، حتى أن النبي ﷺ جعل الإيمان بذلك شرط كمال الإيكان فقال: " لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ "[(١)].

فقد اشتمل هذا الحديث على أعلى المصالح وأولاها بالجلب، فالأول الإقرار بالشهادتين، والثاني أن يؤمن بالموت، والثالث أن يؤمن بالبعث، والرابع أن يؤمن بالقدر يعني بأن جميع ما يجري في العالم بقضاء الله وقدره [(٢)].

ورُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود-رضي الله عنه- قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ"[(٣)].

ويتضح من هذا الحديث أنَّ قدرَ الله سبق بكلِّ ما هو كائن، وفيه تصريحٌ بإثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها[(٤)]، وبما أن فقدان الأحبة يدمي القلوب فقد جعله الله ﷻ علامة على الإيمان، فالواجب على العبد الإيمان بأنه لا راد لقدر الله وقضائه، فالفقدان قدر من عند الله لا يرد ولا يستطيع صده أحد مهما بلغ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود-رضي الله عنه، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: اللهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهَا

---

(١) أخرجه التِّرْمِذِيُّ، كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، رقم ٢١٤٥.وقال المباركفوري: " وَحَدِيثٌ عَلِيٍّ هَذَا رِجَالُهُ رِجَالُ الصحيح" تحفة الأحوذي ٦/ ٢٩٨.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ٦/ ٢٩٨.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ، ٢٠٣٦/٤ رقم ٢٦٤٣.

(٤) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ١٦/ ١٩٠.

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكِ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ»[(١)].

وهذا الحديث صريحٌ في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل، فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقةً عن ذلك[(٢)]،قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [(٣)]، فوجَّه النبي -صلى الله عليه وسلم- أُمَّ حَبِيبَةَ-رضي الله عنها- إلى الأَوْلَى والأفضل وهو الدُّعاء للوقايةِ من العذابِ، بدلاً من السؤال لزيادة الأعمار المُقرَّرة أزلاً في اللوح المحفوظ الذي لا يتبدَّلُ ولا يتغير؛ ولا يحدث بهذا الدُّعاء شيءٌ فيما قدره الله-جلَّ جلاله- في قدره المُبرم لعُمرِ كل إنسانٍ.

ويتضح مما سبق أن النبي- ﷺ- قدَّم العلاج الوقائي لمن ابتلي بفقدان قريبٍ له أو عزيزٍ عليه أو حبيبٍ لديه، فيجب عليه أن يجعل عدته تحقيق الإيمان بالقدر حتى يقتحم الصعاب والأهوال بقلب ثابت، لا بالاعتداء على نفسه بالانتحار.

ثانياً: الصبر على المقدر:

شاء الله-سبحانه وتعالى- أن يكون الطريق إليه حافلاً بالعقبات، مليئًا بالمحن والفتن، لقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[(٤)]، وإذا نظرنا إلى الواقع اليوم نجد من الناس من يزن الإيمان بميزان الربح والخسارة، ليحقق ما تصبو إليه نفسه، فإن تعرض لمحنةٍ أو فتنةٍ نكث على عقبيه، والإنسان بفطرته يثور من ألم المحن وأذى الفتن، فيحتاج إلى الصبر.

والمقصود بالصبر: الوقوف مَعَ البلاء بحسن الأدب، بترك الشكوى لغير الله لا إلى الله؛ لأن الله تعالى أثنى على أيوب ﷺ بالصبر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾

(١)أخرجه مسلم، كتاب الْقَدَرِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ، ٤/ ٢٠٥١ رقم ٢٦٦٣.

(٢) والأمر الذي تنبغي الإشارة إليه: أن الحديث الذي رواه أبو أُمَامَةَ –رضي الله عنه- أن رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: " صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المعجم الكبير ٨/ ٢١٦ رقم ٨٠١٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣/ ١١٥"إِسْنَادُهُ حَسَنٌ" قيل في معناه: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يُبْقِي أَثَرَ وَاصِلِ الرَّحِمِ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا، فَلَا يَضْمَحِلُّ سَرِيعًا كَمَا يَضْمَحِلُّ أَثَرُ قَاطِعِ الرَّحِمِ. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٦/ ٢١٣، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧/ ٣٠٨٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٣٤)

(٤) سورة العنكبوت، الآية (٢- ٣).

مع دعائه في رفع الضر عنه[١] بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٢].

وجميع ما يَلْقَى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين:

أحدهما: ما يوافق هواه، كالصحة والمال وجميع ملاذ الدنيا، وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور، فإنه إن لم يَضْبِطْ نفسه عن الانهماك في ملاذها المباحة منها، أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان.

والآخر: ما يكرهه، كموتِ الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة.. فالصبرُ على ذلك من أعلى مقامات الصبر، وإنما ينال درجة الصبر في المصائب بترك الجزع، وشق الجيوب، وضرب الخدود، والمبالغة في الشكوى، وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم؛ لأن هذه الأمور داخلةٌ تحت اختياره، فينبغي أن يجتنب جميعها، ويظهر الرضاء بقضاء الله تعالى، ويبقى مستمرًا على عادته ويعتقد أن ذلك كان وَدِيعَةً فَاسْتُرْجِعَتْ[٣]، ولقد أرشدنا النبي – ﷺ- إلى هذه الأمور، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[٤].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ، وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا، أَوِ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: "ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا: أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ"، فَعَادَ الرَّسُولُ، فَقَالَ: إِنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، قَالَ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمْ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّةٍ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هَذَا؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[٥].

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية: عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ١/ ٣٢٣، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)،دار ابن كثير، دمشق، بيروت- ، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٠، التعريفات: الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ص١٣١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٨٣).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين: ٤/ ٧٣-٧٥، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص ٢٨٣.

(٤) أخرجه البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ زِيَارَةِ القُبُورِ، ٢/ ٧٩ رقم ١٢٨٣.

(٥)أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، بَابُ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ، ٢/ ٦٣٥ رقم ٩٢٣.

فمن لم يصبر على ما نزل به من مكروهٍ أو على ما حلَّ به من أمرٍ مخوف، عَزَبَ رأيُه، واشتد جزعه، وصار صريعَ همومه، وفريسةَ غمومه(١). وقد قال الله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(٢).

وليزيد النبي ﷺ العبد ثباتا أمره بكلمات وبشّره بحسن جزائها؛ فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٣)، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»(٤).

ثم زاده ﷺ بشارة أخرى، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَابُ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ إِلَّا أَمَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ فَقَالَ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَا كَانَ يَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ مَا كَانَ فِي وَثَاقِي "(٥).

وبشر ﷺ أصحاب بلاء مخصوص بأجر مخصوص، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ "(٦)، فمن ابتلى بذهاب بصره أو بفقد جارحه من جوارحه فليقابل ذلك بالصبر والاحتساب وليرض بما قُدِّر له حتى يفوز بالجنة .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ-رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ للنساء: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوِ اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ»(٧).

(١) انظر: أدب الدنيا والدين: أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، ص ٢٩٠.
(٢) سورة لقمان، الآية (١٧).
(٣) سورة القرة، الآية (١٥٦).
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، ٢/ ٦٣١ رقم ٩١٨.
(٥)أخرجه أحمد في مسنده، ١١/ ٤٥٥ رقم ٦٨٧٠،وقال الهيثمي: " وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ" مجمع مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢/ ٣٠٣.
(٦)أخرجه البخاري، كتاب المرضى، بَابُ فَضْلِ مَنْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، ٧/ ١١٦ رقم ٥٦٥٣.
(٧)أخرجه البخاري، كتاب العلم، بَابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ٩/ ١٠١ رقم رقم ٧٣١٠

فما يزال البلاء بالمصائب والمتاعب نازلاً بالعبد في نفسه بالمرض والفقر، فإذا نظر إليها وأنها واردةٌ إليه من أرحم الراحمين، انقلبت من كونها محنةٍ إلى كونها منحةٍ، وإن كان فيه ما يؤلم بحسب الطبع البشري ، لكنه تحصَّن بالصبر إلى أن يغفر الله له به الخطايا فيلقى المبتلي ربه وما عليه خطيئة(١).

وعلى المُقْدِمِ على الانتحار بسبب فقد حبيب أن يتأسى برسول الله ﷺ؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»(٢). فههنا رضي رسول الله ﷺ بقدر موت ولده إبراهيم، ولم يتجزع، وعلينا أن نتأسى به.

ثالثًا: تحقيق الرضا:

الرضا عن أقدار الله من أعظم الأمور التي تجعل العبد في مأمن من الشروع في هلاك النفس وغيرها، والرضا "سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل فيرضى به"(٣)، لذلك أوقف النبي-ﷺ- حقيقة الإيمان حتي يعلم يعلم العبد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، فقال: «لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»(٤).

فمن ابتلي وفكر في الانتحار فعليه أن يعلم أن مصيبته لحكمةٍ، وأن الانتحار لن يغير شيئًا، قال ابن رجب-رحمه الله-: "فإن العبد إذا علم أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة" (٥).

---

(١) انظر: دليل الفالحين: ابن علان الصديقي (ت ١٠٥٧هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ١/ ١٩٩.

(٢)أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»، ٢/ ٨٣ رقم ١٣٠٣.

(٣)غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق : محمد عبد العزيز العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ط١، ص ٤١٦ . وقد ذكر ابن القيم-رحمه الله- درجات الرضا في مدارج السالكين ٢/ ٤/ ١٧٨- ١٧٩، والذي يهمنا في هذا الصدد الرضا عن الله في كل ما قدَّر.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥/ ٤٨٢رقم ٢٧٤٩٠، وقال الهيثمي:" وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ" مجمع الزوائد ومنبع ومنبع الفوائد٧/ ١٩٧ .

(٥) جامع العلوم والحكم : لابن رجب، ١/ ٤٨٥.

وقال عزَّ اسمه: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) ، قال ابن مسعود- رضي الله عنه-في هذه الآية: "هي المصيبات تصيبُ المرءَ فيَعلمُ أنها من عند الله فيسلِّم ويرضى."(٢).

فمَن استقرت هذه المعاني في قلبه، امتلأ قلبه رضًا عن الله ويقينًا، فلا يفكر في الانتحار ولا يقدم عليه، فصاحب الإيمان بالقدر يعيش عيشة هنيئة، ويحيا حياة كريمة طيبة؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لن يصيبه إلا ما قدره الله له، ولن يُخطئه إلا ما قدره الله له.

وقدَّم النبي-ﷺ- العلاج الشافي للأمة للرضا بما قدر الله فَقَالَ لابن عباس: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(٣).

وقال ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(٤).

ومعنى هذا أن حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي يعين العبد على أن ترضى نفسه بما أصابه، فمن استطاع أن يعمل في اليقين بالقضاء والقدر على الرضا بالمقدور، فليفعل، فإن لم يستطع الرضا، فإن في الصبر على المكروه خيرًا كثيرًا(٥).

وعلامة الرضا سكون القلب بالمقدور، واغتباطه بقسمة ربه وفرحه بقيام مولاه عليه، واستسلام العبد للمولى في كل شيء ورضاه منه بأدنى شيء، وتسليمه له الأحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال التقدير فيها (٦).

فعالج النبيﷺ هذا: بأن كشف لنا أن الابتلاء ما جاء ليهلك العبد، وإنما جاء ليختبر صبره ورضاه، ليمنَّ عليه بالفضل والإكرام، قَالَ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٧).

---

(١) سورة التغابن، الآية (١١).

(٢) الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، ٨/ ١٨٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٤/ ٢٤٨ رقم ٢٥١٦، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ "

(٤)سبق تخريجه، ص ٢٩.

(٥)انظر: جامع العلوم والحكم: لابن رجب، ١/ ٤٨٥- ٤٨٧.

(٦) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، تحقيق" د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م، ٢/ ٦٥.

(٧) أخرجه مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، ٤/ ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩.

المطلب الثالث: الانتحار بسبب عدم القدرة على تلبية متطلبات الحياة وعلاجه في ضوء الإيمان بالقدر.

قد يتسرب اليأس إلى قلوب من لا قدرة لهم على تلبية متطلبات الحياة، فيلجأون إلى الانتحار راحةً من المسئولية، وهذا ملاحظ في واقعنا اليوم فنجد الكثير لا يجدون ما يقع موقعًا من كفايتهم، فليس لديهم من المال أو الكسب ما يسد حاجتهم، في الطعام والشراب والملبس والمسكن وسائر مالا بد له منه على ما يليق بحالهم؛ بأسباب "منها الضعف والعجز عن الكسب ومنها إخفاق السعي، ومنها البطالة والكسل، ومنها الجهل بالطرق الموصلة، ومنها ما تسوقه الأقدار من نحو حركات الرياح واضطراب البحار واحتباس الأمطار، وكساد التجارة ورخص الأسعار"[(١)]، **لذا عالجه النبي ـﷺـعلاجًا وقائيًا قبل وقوعه وبعد وقوعه على النحو الآتي:**

أولاً: التوكل على الله والأخذ بالأسباب:

التوكل على الله منهجٌ متكاملٌ إن فُهِمتْ حقيقته صار أهله من أغنى أهل الأرض، وما توكل أحد على اللَّه جل وعلا من صحة قلبه حتى كان اللَّه جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده إلا لم يكله اللَّه إلى عباده وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب[(٢)].

ويقصد به:" تفويض الأمر لله تعالى بعد أخذ الأسباب، فلا يظن أن الأسباب وحدها كافية، بل إنه لا بد من الاعتماد على الله تعالى بعد الأخذ في الأسباب، والعناية بها" [(٣)].

وحقيقته: " صدق اعتماد القلب على الله -عز وجل- في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلِّها، وَكِلَةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه"[(٤)].

فالتوكل إظهار العجز في الأمر كله، والاعتماد على الله في الأمر كله، فالتوكل هو الدواء النافع لكل أزمة يمر بها المجتمع على المستوى الفردي والجماعي، ومن أجل ذلك حرص النبي-ﷺ-على معالجة الأخطار التي قد تصيب

(١) تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ٢/ ٣٦٨.

(٢) انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، ص ١٥٣.

(٣) زهرة التفاسير: محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، ص ص ٥٤١٧.

(٤) جامع العلوم والحكم، ٢/ ٤٩٧.

العبد أخلاقيًا وسلوكيًا وعقائديًا، رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(١).

وليس بالضرورة أن يحصل الذي يفكر في الانتحار على عمل يتفق مع تفصيلاته التي يريدها، بل المهم أن يعمل عملاً مشروعًا ليسد حاجته، ولا بدَّ له من السعي، فإن الله –جلّ جلاله- قدَّر المقادير بأسبابها، والإيمان بالقدر لا يعني التواكل، بل يعني العزم والتوكل، فمن زعم أن الله قدَّر النتائج والمسببات من غير مقدماتها وأسبابها فقد ضلَّ عن حقيقة القدر، فالأسباب مقدَّرة كالمسببات، فقد رُوِيَ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رُقًى كُنَّا نَسْتَرْقِي بِهَا، وَأَدْوِيَةٌ كُنَّا نَتَدَاوَى بِهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «هُوَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ»(٢).

فبيَّن النبي-صلى الله عليه- أن الأخذ بالأسباب من تمام الإيمان بالقدر، ودلَّ على ذلك قوله -ﷺ- " تَغْدُو خِمَاصًا" فيه إيماء للسعي، فالأصل أن يستعمل العبد الأسباب المشروعة وهو يعتقد أن المسبب هو الله وحده، وما يصل إليه من المنفعة هو بتقدير الله، وأنه إن شاء حرمه تلك المنفعة مع استعمال السبب، فالسبب والمسبب فعل الله تعالى والكل بمشيئته.

وقال ابن رجب-رحمه الله-: " واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به"(٣).

ثانيًا: الاستعاذة من الفقر:

الفقر والمشاكل الاقتصادية وعدم القدرة على تلبية متطلبات الحياة مما قد يحمل المرء على ركوب كل صعب، ويؤدي إلى الاعتراض على أقدار الله والتصرف في ملكه، ولما كان الفقر قد يدفع الإنسان إلى الكفر فليس بعيدًا أن يدفعه للانتحار!

لذا كان النبي-ﷺ- يَقُولُ فِي دُبُرِ الصلاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»(٤). وقد استعاذ رسول الله من الفقر وقرنه بالكفر؛ لأن الخير

(١) أخرجه الترمذي، بَابٌ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، ٤/ ٥٧٣ رقم ٢٣٤٤، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ "

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٨٥ رقم ٨٧، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ثُمَّ لَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وقال الهيثمي: " فِيهِ صَالِحُ بْنُ أَبِي الْأَخْضَرِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ يُعْتَبَرُ حَدِيثُهُ" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥/ ٨٥.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٩٨.

(٤)أخرجه أحمد في مسنده ٣٤/ ١٧ رقم٢٠٣٨١، وابن حبان في صحيحه ٣/ ٣٠٢ رقم ١٠٢٦، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٨٣ رقم ٩٢٧، وقال: على شرط مسلم.

نوعان: خير الآخرة والكفر مضاده، وخير الدنيا والفقر مضاده، فالفقر سبب عذاب الدنيا، والكفر سبب عذاب الآخرة [١].

ففي الاستعاذة اعتراف للخالق بالقوة والقدرة، وأن العبد عاجزٌ عن مواجهة المُستعاذُ منه، فلا مَفْزَعَ لنا في الشَّدائِدِ سِواه، ولا مَلجأَ لنا منه إلاَّ إليه، فهو وحده الذي يقدر على رَفْعِ جَمِيعِ المَضَرَّاتِ، قال ابن بطال - رحمه الله: " جميعُ أبوابِ الاستعاذة... تدلُّ على أنه ينبغي سؤالُ الله، والرغبةُ إليه في كلِّ ما ينزل بالمرء من حاجاته، وأنْ يُعَيِّنَ كلَّ ما يدعو فيه؛ ففي ذلك إطالةُ الرغبة إلى الله تعالى، والتَّضرُّع إليه"[٢]؛ فالعبد عاجزٌ عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضارّه، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله - عز وجل-[٣]، فهو وحده القادر على تحقيق الحاجات ودفع الفقر[٤].

ثالثًا: الحث على العمل:

لا يندفع الفقر إلا بالعمل ومن حقق الإيمان بالقدر فلا يتكاسل ولا يتواكل، فإن فعل ذلك فقد جهل بحقيقة القدر؛ لأن **وجود الأشياء على ميعاد مع الأسباب**، ومن ثَمَّ كان الإيمان بالقدر من أقوى الحوافز التي تدعوا للعمل والإقدام عليه.

لذلك قدَّم النبي-ﷺ- الحلول العملية من أجل القيام بالعمل وتلبية متطلبات الحياة، مستثمرًا للطاقات والإمكانات المتوفِّرة لدى الشخص، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟» قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: «ائْتِنِي بِهِمَا»، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟» قَالَ رَجُلٌ: أَنَا، آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ»، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، ولا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا»، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي

(١) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص ٢٦١.
(٢) شرح صحيح البخارى - لابن بطال، ١٠/ ١١٧.
(٣) انظر: جامع العلوم والحكم ٢/ ٥٧٢.
(٤) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ، ص ٥٦.

وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلا لِثَلَاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ "(١).

ثم شجَّع النبي-ﷺ- على التأسي بالقدوة في الحض على العمل وسد الاحتياجات، فقد رُوِيَ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»(٢).

المطلب الرابع: الانتحار والاحتجاج بالقدر:

أكدت السنة النبوية المطهرة على ألا يكون العبد سلبيًا في التعامل مع القدر، وألا يعلق أفعاله الخاطئة على القدر، فالعبد مطالب شرعًا ألا يلقي بنفسه للتهلكة، ومن ثمَّ جاء النهي عن الاحتجاج بالقدر على المعاصي، والحث على دفع القدر بالقدر، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولاً: النهي عن الاحتجاج بالقدر على الانتحار:

قد يستند البعض إلى القدر في الانتحار كمبرر، ويقول: أنا انتحر لأن الله قدر عليَّ، وهذا الاستناد لا أساس له من الصحة؛ فالمنتحر يقدم على الانتحار باختياره من غير أن يعلم أن الله قدره عليه، فلا يعلم أحد قدر الله إلا بعد وقوعه، فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتج؟! وهل عرف المنتحر الغيب واطلع عليه، ونظر في اللوح المحفوظ، وعرف أن الله قدر عليه الانتحار فقام به؟!

لقد رد الله عز وجل هذا الفكر، وسماه شركاً، بقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٣).

وهذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب بيع المزايدة ٣/ ٣١٦ رقم ٢١٩٨، أبوداود في سننه، كتاب الزكاة، باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني ٢/ ١٢٠ رقم ١٦٤١، وقال محققو سنن ابن ماجه: " وهذا إسناد ضعيف، أبو بكر الحنفي - واسمه عبد الله- قد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، لكن نقل الحافظ في ترجمته في "التهذيب" وفي "التلخيص" ٣/ ١٥ عن البخاري قوله: لا يصح حديثه، وقال ابن القطان في "بيان الوهم والإيهام" (٢٢٩٧): روت عنه جماعة ليسوا من مشاهير أهل العلم، وهم عبد الرحمن بن شميط، وعُبيد الله بن شميط، والأخضر ابن عجلان عمهما، وقال: عبد الله الحنفي لا أعرف أحدًا نقل عدالته، فهي لم تثبت. ومع هذا فقد حسَّن حديثه هذا الترمذي، وصحَّحه الضياء المقدسي في "المختارة".

(٢) أخرجه البخاري، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ،٣/ ٥٧ رقم ٢٠٧٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٤٨-١٤٩).

لهم في دفع اللوم عنهم، فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئًا ولم تنفعهم، فلو كانت حجة صحيحة، لدفعت عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

الوجه الثاني: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته.

الوجه الثالث: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب(١).

فكيف للمنتحر أن يحتج بحجةٍ لا يعلمها؟ ونقول للمنتحر المحتج بالقدر: لماذا لم تقدم على طرق الوقاية من أسباب الانتحار مقدراً أن الله كتبها لك؟ لأن الانتحار وطرق الوقاية من أسبابه في الجهل بتقديرهما سواء.

فهو لا يدري أكتب الله عليه الانتحار أم لا، فلماذا افترض أن الله كتبه عليه؟ لماذا احتمل الاحتمال الأسوأ وقال: إن الله قد قدر ذلك عليَّ؟ فما فعل ذلك إلا لانهزامه أمام شهواته، ولأنه عبدٌ لشهواته ونزواته.

ولهذا لما أخبر النبي -ﷺ- بأن كل واحدٍ قد كُتِبَ مقعده من الجنة أو النار، قالوا: "أفلا نتكل؟ -قالوا: إذاً نتكل ما دام أنها محددة مسبقاً- قال: لا. اعملوا -هذه وظيفتكم- فكل ميسر لما خلق له"(٢).

وقد يستدل بعضهم بحديث احتجاج آدم وموسى –عليهما السلام-عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ، قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، قَالَ: نَعَمْ،

(١) انظر: تفسير السعدي ١/ ٢٧٨

(٢)أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب "فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى" ٦/ ١٧١ رقم ٤٩٤٩.

قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ " قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»(١) .

وهذا الحديث ليس معناه أنه ألزمه لآدم وأوجبه عليه، فلم يكن له في تناول الشجرة كسب واختيار، وإنما المعنى أن الله حكم قبل كون آدم بأنه كائن لا محالة، فهل يمكن أن يصدر عنه خلاف علم الله، فكيف يغفل عن العلم السابق ويذكر الكسب الذي هو السبب وينسى الأصل الذي هو القدر وهو من المصطفين الذين يشاهدون سر الله؟ ولا يجوز للعاصي أن يعتذر بمثل هذا وبتمسك بالتقدير لأنه باق في دار التكليف وعالم الأسباب الذي لا يجوز فيه قطع النظر وصرفه عن الوسائط والأسباب، جار عليه أحكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها، وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل، وأما آدم فهو خارج عن هذا العالم المشهود وعن الحاجة إلى الزجر(٢).

لذا فإن "الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع لأنه لا يدفع بالقدر أمرا ولا نهيا ولا يبطل به شريعة بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة، يوضحه أن آدم قال لموسى أتلومني على أن عملت عملا كان مكتوبا علي قبل أن أخلق فإذا أذنب الرجل ذنبا ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن فأنبه مؤنب عليه ولامه حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر عليّ قبل أن أخلق فإنه لم يدفع بالقدر حقا ولا ذكره حجة له على باطل ولا محذور في الاحتجاج به وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلا محرما أو يترك واجبا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره فيبطل بالاحتجاج به حقا ويرتكب باطلا كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله تعالى.. ونكتة المسألة أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر وإذا كان اللوم واقعا فالاحتجاج بالقدر باطل" (٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ٤/ ٢٠٤٣، رقم٢٦٥٢

(٢) انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م، ١/ ١٦٢.

(٣) شفاء العليل، ص١٨.

فليس في القدر أي معنى من معاني القهر والإلزام، وإنما هو مجرد انكشاف ما وقع وسيقع على السنة الدائمة التي رسم، وهي سنة الاختيار التي بنى عليها التكليف والثواب والعقاب(١).

ثانيًا: التأكيد على دفع القدر بالقدر:

لما كان المقدور قُدِّرَ بأسبابه ولم يقدر مجردًا عن سببه، فترتب على ذلك إذا أتى العبد بالسبب وقع المقدور، وإن لم يأتِ بالسبب انفى المقدور، والعبد مطالب شرعًا أن يدفع القدر بالقدر، فالمرض مثلاً من القدر وواجب على العبد أن يدفعه بقدر آخر وهو الدواء، والانتحار يُدفع بطرق الوقاية منه. فمعرفة دفع القدر بالقدر من أشرف المعارف لمن عرف قدرها ورعاها حقّ رعايتها، فمن فَقِهَها وتأمّلها حق التأمل، انتفع بها غاية النفع، ولم يتكل على القدر جهلًا منه وعجزًا وتفريطًا وإضاعة، فيكون توكله عجزًا وعجزه توكلاً(٢).

ولقد قرر النبي-ﷺ- أن الدعاء سببٌ في رد القدر، فعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ»(٣). وقال ﷺ: «الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ»(٤).

قال الإمام الغزالي-رحمه الله-: " فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سببٌ لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سببٌ لرد السهم، والماء سببٌ لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان" (٥).

فيجب على الذي يقدم على الانتحار أن يدعوا الله تعالى أن يزيل عنه الأسباب التي تجعله يفكر في الانتحار بالدعاء، فإن الدعاء يصعد إلى السماء والقدر ينزل منها فيتدافعان، وبذلك يكون قد نفذ القدر من السماء، ويكون قد قدر الله للقدر أن يدفع بالدعاء.

ومما يدل على دفع القدر بالقدر، وأن يكون العبد إيجابيًا في التعامل مع الأقدار، ويترك الاطراح السلبي الذي يبرر الانتحار بالقدر، ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرج إلى الشأم، حتى إذا

(١) انظر: الإسلام عقيدة وشريعة: الإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق-القاهرة، ط١٨، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص ٥٠-٥١

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لابن القيم، ص ٣٨، مدارج السالكين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ١/ ٢١٨.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، ١/ ٦٧٠ رقم ١٨١٤، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "

(٤)أخرجه الحاكم ١/ ٦٧٠ رقم ١٨١٥، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "

(٥) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، ١/ ٣٢٩.

كان بِسَرْغَ لقيه أمراء الأجناد، أبوعبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم. قال ابن عباس: فقال عمر: ادعُ لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: **أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟**[1].

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، على النحو الآتي:

النتائج:

توصلت الدراسة إلى أن أسباب الانتحار: الاكتئاب، وفقدان الأحبة، وعدم القدرة على تلبية متطلبات الحياة، والاحتجاج بالقدر، وعالج النبي-ﷺ- هذه الأسباب في ضوء الإيمان بالقدر على النحو الآتي:

أولاً: عالج النبي-ﷺ – الاكتئاب علاجًا وقائيًا قبل وقوعه من خلال: الإقرار بأزلية القدر ووجوب الإيمان به، واللجوء إلى الله قبل وقوع القدر وبعد وقوعه، وأن المصائب تقع بقدر الله وهي تكفر الذنوب.

ثانيًا: عالج النبي-ﷺ – فقدان الأحبة من خلال: ذكر أعلى المصالح وأولاها بالجلب، وأعلى المفاسد وأولاها بالدفع ، والصبر على المقدر، وتحقيق الرضا.

ثالثًا: عالج النبي-ﷺ – عدم القدرة على تلبية متطلبات الحياة علاجًا وقائيًا قبل وقوعه وبعد وقوعه من خلال: التوكل على الله والأخذ بالأسباب، والاستعاذة من الفقر، والحث على العمل.

رابعًا: عالج النبي-ﷺ – الاحتجاج بالقدر، من خلال النهي عن الاحتجاج بالقدر على الانتحار، والتأكيد على دفع القدر بالقدر.

خامسًا: بينت الدراسة وجوب الاعتماد في الإيمان بالقدر على الكتاب والسنة، وترك الاعتماد في ذلك على نظر العقول ومحض القياس، وألا تتأول

(١) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما يذكر في الطاعون، ٧/ ١٣٠ رقم ٥٧٢٩.

نصوص الوحي في باب القدر وغيره تأويلاً حسب الآراء والأهواء، وإنما تُفْهم نصوص الوحي كما فهمها الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم.

سادسًا: من حقق الإيمان القدر كما بينه النبي-ﷺ- وعلمه لأصحابه- رضوان الله عليهم- حرر عقله من الشرك والخرافات والأباطيل.

سابعًا: أوضحت الدراسة أنه لا يجوز البتة الاتكال على القدر وترك العمل، وليس ذلك من شأن المؤمن، لأن قدر الله غيبٌ لا يمكن للعبد الإحاطة به، والاتكال عليه.

ثامنًا: بينت الدراسة أن أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلةٌ في خلق الله وقضائه وقدره، ولكنهم هم الفاعلون لها، لم يجبرهم الله عليها، مع أنها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم، فهي فعلهم حقيقة، فهم الموصوفون بها المثابون والمعاقبون عليها.

التوصيات:

أولاً: ضرورة توظيف عقائد الإسلام كما بينها النبي-ﷺ-وعلمها لصحابته، في حل قضايا الواقع ومشكلاته.

ثانيًا: ضرورة بيان منهج النبي-ﷺ- في ترسيخ عقائد الإسلام.

ثالثًا: ضرورة عقد ندوات ومؤتمرات لتوعية المجتمع بعقيدة الإيمان بالقدر وأثرها في علاج قضايا الواقع وبخاصة الانتحار.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإبانة الكبرى: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق: عثمان الأثيوبي وآخرون، دار الراية – الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ.
٢. الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.
٣. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: شهاب الدين أحمد البوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٤. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت.
٥. آداب النفوس: الحارث المحاسبي(ت ٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل - بيروت – لبنان.
٦. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
٧. الإسلام عقيدة وشريعة: الإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق-القاهرة، ط١٨، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٨. أصول السنة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار المنار، ط١، ١٤١١هـ.
٩. بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٠. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
١١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٢. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي ، والدار القيّمة، ط٢، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
١٣. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٤. تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.
١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
١٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٨. التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٩. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢١. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار المعرفة – المغرب،ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م..
٢٢. حجة الله البالغة: ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
٢٣. خلق أفعال العباد: للإمام البخاري ،تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية – الرياض.
٢٤. الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت.
٢٥. الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٦. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٧. الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.
٢٨. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٩. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ ١٤٢٢ هـ.
٣٠. زهرة التفاسير: محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
٣١. سنن ابن ماجه: تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٣٢. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٣٣. سنن الترمذي:محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.
٣٤. السنن الكبرى:أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)،تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٥. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي الزرقاني ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٦. شرح صحيح البخاري: أبو الحسن ابن بطال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٧. الشريعة: أبو بكر الآجُرّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٨. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٣٩. طرح التثريب في شرح التقريب: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت ٨٠٦هـ)،دار إحياء التراث العربي.
٤٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٤١. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)،دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٤٢. العقل والنقل عند ابن رشد: أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت ١٤١٥هـ)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الحادية عشرة - العدد الأول ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٤٣. علم النفس الإكلينيكي، سناء أبو نصير حجازي، دار المسير-عمان، ٢٠١٣م.
٤٤. علم النفس دراسة الحواس الداخلية عبر السلوك اليومي للإنسان، هاني يحيى نصري، دار الأرقم، ٢٠٠٥م.
٤٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٦. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
٤٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤٨. فيض القدير: للشوكاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
٤٩. كتاب الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق: لأبي حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ)، دار القلم-دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٥٠. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
٥١. لسان العرب: محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
٥٢. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٥٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.
٥٤. مدارج السالكين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٥٥. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

٥٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٥٧. مسائل الإمام أحمد رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانيء النيسابوري(ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي-بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٥٨. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٥٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٦٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦١. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر محمود ، دار ابن القيم – الدمام، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٦٢. معجم مقاييس اللغة: لابن فارس ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر-دمشق، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٦٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٦٤. الوحي والإنسان - قراءة معرفية: محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة.